



علي بن أحمد المناعي

* الاسم الكامل: علي بن أحمد بن علي بن سالم بن درويش المناعي

* من مواليد قرية قلالي بالبحرين عام 1920م

* درس في المطوع وحفظ القرآن على يد الشيخ عبدالمحسن المحمود ، إمام مسجد سالم بن درويش، ثم تعلّم القراءة والكتابة والحساب في مدرسة السيد علي بالمرحوق . وبالرغم من الفترة القصيرة التي قضاها في هذه المدرسة - غير النظامية - إلا أنه اكتسب المهارات القرآنية والكتابية الأولية ، وأجاد في العمليات الحسابية البسيطة ، التي ساعدته كثيراً في تأدية متطلبات عمله ، دون الاستعانة بأحد يكتب عنه .

* توفي والده وهو في عمر الرابعة عشرة (1). والدته هي : منيرة بنت منصور بن محمد بن سالم بن درويش المناعي. متزوج من عائشة ابنة عمه عيسى بن علي المناعي، وأنجب منها ثلاث بنات (منيرة ، وشريفة ، وأمينة) وولد (أحمد) ، وله من الإخوة (يوسف ومنصور) ، وقد توفيا صغيرين ، وأخ غير شقيق (خليفة) .

* ركب البحر منذ صباه ، حيث عمل بحاراً ، ثم نوحدة في سفينة عمه الطواش عيسى بن علي المناعي ، المعروفة باسم (رسلان) . وتميز النوحدة علي بن أحمد ، بهمته العالية ونشاطه الدؤوب ، وحماسه في العمل ، ومعاونته للبحارة في جميع مهماتهم على السفينة .

* بعد توقف العائلة عن ممارسة الطواشة - بسبب كساد الغوص - نهاية أربعينيات القرن الماضي ، تم تحويل الجالوت (رسلان) إلى سفينة للنقل التجاري ، وذلك بعد تزويدها بماكينه آلية ، حيث عمل على قيادتها علي بن أحمد وأخوه خليفة ، فكانت تجوب موانئ الخليج العربي ، تنقل البضائع والركاب ، من البصرة والمحمرة شمالاً ، إلى مسقط جنوباً ، مروراً بالكويت والخبر وأبوظبي ودبي . ثم بعد سنوات قليلة بيعت سفينة العائلة ، فترك أخوه (خليفة) العمل في البحر، بينما عمل هو فترة نوحدة في سفينة قريبة الطواش عبدالله بن أحمد المناعي ، ثم واصل مسيرته نوحدة في سفن تجارية عديدة . وبعد عدة سنوات استطاع شراء سفينة خاصة به ، قادها بنفسه فترة من الزمن ، ثم بعد أن شعر بالتعب ، وضع فيها نوحدة ، ممن كان يعمل عنده ربانا مساعداً. وفي أواخر الثمانينيات فُقدت السفينة في ظروف غامضة ، قرب أحد الموانئ الإيرانية ، وخسرهما ، لأنها غير مؤمنة .

* بعد خسارته لسفينته ، اتجه إلى العمل مُخلصاً للبضائع في فرضة المنامة وميناء سلمان ، حيث حصل من بعض الشركات التجارية على توكيلات لتخليص وارداتها ، من الجمارك ، أو القيام بمهمة توفير وسيلة نقل بحرية لصادراتها إلى موانئ الخليج العربي والساحل الإيراني . وقد حقق له هذا العمل دخلاً آمن به معيشته. وبعد أن اعتلت صحته ، بسبب مرض السكر ، قرر التقاعد عن العمل تماماً ، وكان ذلك في منتصف تسعينيات القرن الماضي .

* عرف بجرأته وشجاعته ، وقوته الجسمانية ؛ ويحكى عنه أنه كان - أحياناً - يرفع شراع سفينة الطواشة لوحده ، ويجرّ مرساتها دون مساعدة البحارة. كما اشتهر بمعرفته بالمواقع الملاحية الهامة في الخليج العربي ، وطرق سير السفن ، والهيرات والبنادر والجزر الكبيرة والصغيرة في الخليج العربي . ولديه خبرة في علم الفلك والاستدلال بمطالع النجوم ، ودراية بالبروج ومواقيت هبوب الرياح الموسمية ، و مقدرة في تحديد عمق البحر ، أسفل السفينة ، دون استعمال البُلند (2). وكان أحياناً يسير ليلاً ، حتى في الظلام الدامس ، مهتدياً بالنجوم ، والاستعانة بالبوصله (الدبرة) والنايلة (3) ، اللتين يضبط بهما الاتجاهات ، وتقدير المسافات بدقة كبيرة ، إلى جانب ما كان يتمتع به من قوة النظر في رؤية السفن ، التي تجوب البحر ليلاً ونهاراً ، ويتعرّف بعضها من أشكالها ، وتبعيتها لأي جهة .

ودليلاً على الخبرة الملاحية عند الوالد ، ومعرفته بمسالك البحر وطرقه وأعماقه ، هذا الموقف الطريف الذي رواه لي قريبي محمد بن عبدالله بن احمد المناعي ، يقول : " عمِلَ العم (علي) نوحدة في سفينة الطواشة الخاصة بوالدي ، وذلك في أوائل خمسينيات القرن الماضي ، وأتذكر له هذا الموقف الذي لا ينسى ! : كنا مسافرين من البحرين إلى الدوحة ، وبعد استقرارنا فترة قصيرة بها ، عزمنا على التوجه إلى دبي ، وكان مسيرنا وقت الضحى ، وبعد تحركنا بقليل هبت علينا رياح الكوس القوية ، ودخل علينا المساء والسفينة تصارع الأمواج ، وتتلاعب بها يميناً ويساراً . ونحن في هذه الحال ، أقبل بعض البحارة يخبرون والدي (عبدالله) بأن النوحدة (علي) يسير في الاتجاه الخاطئ !! وتوجه الوالد إلى العم (علي) واخبره بما يقوله البحارة !! حين سمع العم (علي) ذلك ، طلب من الميكانيكي السائق إيقاف السفينة ، وأمره بإحضار البلد ، لقياس عمق البحر ، وقبل إلقاء البلد ، توجه إلى الجميع قائلاً : إذا لم يكن عمق البحر ثمانية عشر ذراعاً ، سألقي بنفسي في البحر !!.. حينها شعرت الموجودون على ظهر السفينة بالخوف والحرص في أن ! ماذا لو اخطأ القياس ونفذ العم (علي) ما وعد به ! .. يقول الأخ محمد : " حاول والدي والبحارة تهدئة النوحدة (علي) وثنية عن قراره ، ولكنه أصر على ذلك ، وتم إلقاء البلد في البحر ، وبعد إخراجها وحساب علامات القياس على حبل البلد تبين فعلاً أن عمق البحر أسفل السفينة 18 ذراعاً بالضبط !!..وتنفس الجميع الصعداء شاكرين الله على تخطي هذا الموقف الصعب ، وكذلك انحسار تلك الريح المزعجة !! وواصلت السفينة سيرها إلى دبي في أمان واطمئنان ..

* كان عطوفاً وكريماً، وصريحاً إلى أبعد الحدود ، ينفعل تجاه أي خطأ يحدث أمامه ، ولكنه سرعان ما يعود إليه هدوءه. ويعامل بحارته بكل ود ومحبة ، وهم يبادلونه الاحترام ، مقدرين فيه هذه الصفات الحميدة . وهو في السفر يكون حازماً، وخاصة مع الركاب المسافرين على متن سفينته ؛ حيث يكونون غالباً خليطاً من جنسيات مختلفة ، وأكثرهم من الطبقة العاملة ، الذين عادة ما يتواجد بينهم أفراداً مشاغبون خلال السفر، يثيرون المشاكل حول أماكن الجلوس، أو التنازع على الماء مثلاً . وغالباً ما يحدث ذلك عند تعطل السفينة وسط البحر، أو في حال التوقف الاضطراري عند بعض الجزر ، بسبب هبوب العواصف وارتفاع الموج ، مما قد يعرض السفينة لخطر الغرق . وقد واجه النوحدة علي بن احمد ، خلال عمله في البحر، عدة حوادث ، استطاع التغلب عليها مرة بحكمة وهدوء، وأخرى بجرأة وصرامة ، خاصة حين يستشعر خطورتها على السفينة والمسافرين .

ومن أبرز الحوادث التي واجهته خلال إحدى الرحلات ، هذه الحادثة التي تظهر جرأته وقدرته على مواجهة المخاطر، وهذه حادثة كنتُ شاهدَ عيانَ عليها :

كنت صبياً لا يتعدى عمري الرابعة عشرة ، عندما اصطحبتني الوالد معي في صيف العام 1956م ، في سفرة بحرية إلى دبي . ولم تكن تلك المرة الأولى التي أرافقه فيها ؛ فخلال العطل الصيفية ، كان أبي يحرص أن يأخذني معه. فررتُ جميع موانئ الخليج ، عدا البصرة ، التي بقيت أمنية ، لم تتحقق إلا بعد أن دفعتُ بي الظروف إلى الالتحاق بجامعة عام 1964م .

وتبدأ الحكاية .. ففي صباح صيف أحد أيام ذلك العام غادرتُ سفينة أبي فريضة المنامة ، متوجهة إلى ميناء دبي ، محملة ببضائع ثقيلة ، وعليها عدد من الركاب المسافرين ، يزيد عددهم على الخمسين ، من جنسيات مختلفة (عمانيون وهنود وبلوش وغيرهم..).

وبعد مسيرة سبع ساعات أو أكثر قليلاً ، من مغادرتنا جزيرة راس ركن ، بشمال قطر، بدأ الجو يتغير ، والرياح تزداد شدة . طلب الوالد من الميكانيكي زيادة سرعة السفينة ، متجهين إلى بندر جزيرة داس ، التي تقع في منتصف المسافة بين أبوظبي وقطر، وقد وصلناها قبل الغروب بقليل ، وكادت أمواج البحر الهانجة تغرق السفينة . وما أن استقرت السفينة عند الجزيرة ، حتى أخذ الركاب في تناول طعامهم والخلود إلى الراحة . وبعد قليل من رسونا ، جاء أحد البحارة مسرعاً ليخبر والدي : بأن ماء الشرب في الخزان لا يكفي إلا لعدة ساعات ، وإذا لم نستطع المغادرة إلى دبي في الصباح الباكر ، فستواجهنا مشكلة ، لا يحمد عقباه ،

مع الركاب !. طلب والدي منه أن يتولى حراسة خزان الماء ، الذي يقع في مقدمة السفينة ، وأمره بإعطاء كل راكب ما يسد رمقة فقط ..!

وقام والدي بإعلام الركاب بنقص مياه الشرب ، وطلب منهم عدم استعماله لغير الشرب !.. ولكن بعض الركاب لم يتقبل هذا الإجراء ، وفجأة اندفع أحد البلوش إلى الخزان ، في تحدٍ واضح ، حاملاً معه إناءً كبيراً ، وطلب من الحارس ملأه بالماء ، فلم يستجب الحارس لطلبه ، فقام بمهاجمته ، وازاحته عن الخزان ، فقام عدد من البحارة بمساعدة زميلهم الحارس ، فما كان من الركاب المعتدي إلا أن أخرج من تحت قميصه خنجرًا حاداً ، رفعه في وجوه البحارة ، فابتعدوا عنه جزعين . كان والدي يراقب المشهد واقفاً عند الدفة في مؤخرة السفينة ، وقد تملكه الغيظ ، فصرخ على المهاجم بأن يهدأ ويكف عن اعتدائه ، ولما لم يجد منه استجابة ، أمر جميع الركاب بالجلوس والتزام أماكنهم ، وطلب مني الصعود إلى الكاتلي (4) ، ثم توجه نحو المهاجم ، وهو يكظم غيظه ، ولما اقترب منه ، قال للبحار الحارس إملاً له إناءه !.. وما أن التفت المهاجم إلى البحار الذي كان واقفاً خلفه ، ليتأكد من تلبية طلبه ، حتى انقضَّ عليه أبي في حركة سريعة وصرعه أرضاً ، وأمسك يديه بقوة ، وطلب من البحارة أخذ الخنجر ، وتكثيفه ، وتقييده بالحبل ، وحبسه في الخن (5) .

وبعد أن عاد أبي إلى مكانه ، طلب مني أن أنام ، وبقي هو ساهراً حتى الفجر. وفي الصباح الباكر قرر أن يواصل السير، وسط الريح القوية والبحر الهائج ، دون انتظار لاعتدال الجو ، في مخاطرة ، تبيّن فيما بعد ، أن قراره كان محسوباً بدقة . حدث ذلك أمام دهشة جميع مَنْ على السفينة ، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه ، بمن فيهم أنا !.

تحركت السفينة بببطء وسط العاصفة التي لم تهدأ ، وأخذ والدي بالسير غير بعيد عن الشاطئ، لكي يكون أكثر أماناً من العبور وسط البحر العميق ، حتى لو استغرق وقتنا أطول . ويحتاج سلوك هذا الطريق جرأة ودراية بالجزر الصغيرة المتناثرة عند ساحل أبو ظبي ، وبمواقع المياه الضحلة ، التي قد تتسبب في تعثر السفينة ، من جراء احتكاكها بقاع البحر.

في المساء دخلنا خور دبي ، وحين توقفنا عند المرفأ ، كان منظر الركاب ، وهم مستلقون على سطح السفينة ، أشبه بالجنث الهامدة التي خلفتها معركة دامية ؛ كانوا يغطون في نوم عميق ؛ بسبب ما ألمَّ بهم من رعب وهلع ، وهم يرون الأمواج العالية تتلاعب بالسفينة ، وتدفعهم إلى التدرج يميناً ويساراً، وتتدفق عليهم المياه بغزارة ، فتبلل ثيابهم وفرشهم . جاء موظفوا الجمارك ، وعندما رأى أبي علامات الاندهاش على وجوههم من هول المنظر ، روى لهم قصة ما حدث !.. أما المسافرون الهامدون دون حراك ، فقد تم إبقائهم بصعوبة لمغادرة السفينة .

بعد وصولنا سالمين ، كانت أسئلة محيرة تدور في رأسي ، حول إقدام أبي على تصرفاته الجريئة والخطيرة تلك !.. وحين كنا - أنا وأبي - نتجول في سوق دبي ، سألته : ما الذي دفع بك إلى مخاطرة السير في العاصفة ؟.. رد علي بكل هدوء : لو انتظرتُ إلى أن تهدأ الرياح سينفد الماء ، ويؤثر جميع الركاب ، وتحدث فوضى يصعب علينا - أنا والبحارة - السيطرة عليها ، وبالتالي نتعرض لمخاطر أكبر، مثل غرق السفينة ، أوالتعدي علينا . وسألته مرة أخرى : كيف جازفت بالتوجه إلى الركاب المعتدي للقبض عليه ، دون أن تأخذ في الحسبان أنه مسلح ، وربما قيام آخرين من زملائه لمناصرته ؟.. قال : لما أمرتهم بالجلوس في أماكنهم وأطاعوني ، تأكدتُ من أن أحداً لن يتجرأ على مساعدته !.. ثم وجه - أبي - إليّ سؤالاً : أتعرف لم كنتُ قلقاً ، ولم أتم ليلة الحادث ؟.. وقبل أن أطلب منه الإجابة ، بادرني قانلاً : كنت - أنت - همي الوحيد ، خوفاً من أن تتعرض لأي مكروه ، وحين وجدتك غير وجل مما حدث ، اتخذتُ قراري ذلك، ومشيتُ بمحاذاة الشاطئ ؛ لأننا - أنا وأنت نعرف السباحة جيداً، إذا ماتعرضت السفينة للغرق !.

* من هواياته المفضلة اقتناء المسابيح الثمينة ، من الكهرمان وغيره ، وكان يحرص على الحصول على الأنواع النادرة منها ، إما بالشراء ، أو بالتبادل مع أصدقائه ، ليضمها إلى مجموعته . ومن الأمور التي كانت غائبة عني حول هذه الهواية ؛ أنه كان - بين وقت وآخر - يخرجها من الصندوق ويأخذ في تقليبها وتأملها ، وكنتُ أظن أنه يمارس هوايته فقط ! ولكنني - مؤخراً - أخرجتُ بعض المسابيح التي احتفظتُ بها ، فوجدتُ

بعضها قد تحوّلت بعض خرزاته البرتقالية إلى اللون البني ، فأدركت أن والدي لم يكن يتسلى بإخراجها فحسب، وإنما كان يتيح لها أن تتنفس الهواء وتمتص الضوء ؛ كي تحافظ على لونها ولمعاتها ، مثل اللؤلؤ الطبيعي ! .

* كان يحب ، أيضا ، جمع نماذج السفن الخشبية وأدوات الملاحة ، التي يجد فيها متعة ، تذكره بجولاته ومغامراته البحرية المثيرة . اشترى في أواخر سنين حياته نموذجا لسفينة (بوم) (6) ، بطول ستة أقدام ونصف ، وضعها في غرفة نومه مع ديرة (بوصلة) ذات قاعدة خشبية ، كان يستعملها في سفراته. وعندما فقد بصره ، كان يقوم ، أحيانا ، بتحسس السفينة ، وتقزّي أجزاءها بأصابعه ، ثم ينتقل إلى الديرة ليمسح بلطف على زجاجها ، وكأنه يزيل الغبار عنها .. ما يدل أن الهواية تزداد وجداً إذا اقترنت بالذكريات.

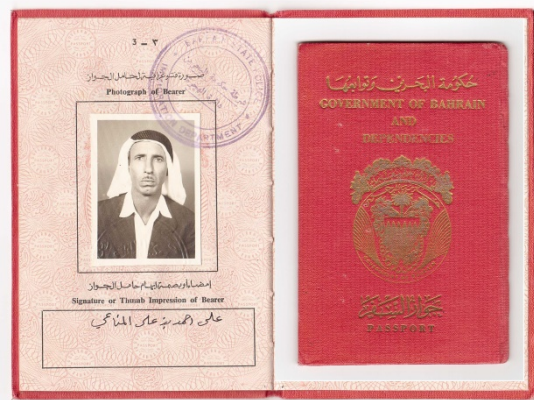
* أدى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ، وزيارة المدينة المنورة عام 1401هـ ، الموافق عام 1979م، وسافر إلى الهند وإيران ، وزار عدة بلدان عربية وأوربية .

* توفي - رحمه الله - في 22 أكتوبر 2003م ، عن عمر ناهز 83 عاماً ، ودفن في مقبرة قلالي .

..... أحمد علي المناعي

الهوامش :

- (1) توفي والده (احمد بن علي) بتاريخ 17ربيع الثاني 1353هـ - 30 يوليو 1934 م .
- (2) البلد : بكسر الباء ، أداة لقياس عمق البحر، مكونة من قطعة من الحديد مربوط في طرفها حبل طويل ،بها عقد بسافات معلومة ، تلقى حتى تلامس قاع البحر ، وبعد سحبها يحسب الجزء المبلل منه لمعرفة عمقه .
- (3) النايلة : دليل مسارات السفن والمواقع البحرية .
- (4) الكاتلي : سطح مرتفع في مؤخرة السفينة مخصص لاستراحة النوخذه ونومه .
- (5) الخن : المستودع الداخلي ، بجوف السفينة .
- (6) اليوم : من أنواع السفن الخشبية الكبيرة ، التي تستعمل في النقل البحري التجاري ، واستخدمت قديما في الفوص على اللؤلؤ .
أنظر شكلها أدناه في المقتنيات .



من مقتنياته :

